﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾

[عبس: 8 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

ذكرُ المُتقابِلات لمَعرفةِ المواقفِ والمُتضادّات

لمّا ذكر القسم الأوَّل من الناس في الدعوة وهو المستغني والمعرض عن الآيات؛ ذكر مقابله وقسيمه وهو المقبل على الحقِّ، والرّاغب في الانتفاع، لِتَتمَّ القسمة، ويكتمل التفصيل، فقال: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسۡعَىٰ﴾: سَعَى الرّجلُ على الصَّدقة يَسعَى سَعْيًا: عَمِلَ في أخذِها مِن أربابِها، وسعَى في مَشيِهِ: هَرولَ. وسعَى إلى الصَّلاة: ذهبَ إليها على أيّ وجهٍ كان، وأصلُ السَّعي: التصرُّفُ في كلِّ عمَلٍ[2]، والسَّعيُ: المَشْيُ السَّريع وهو دونَ العَدْوِ، ويُستعمَلُ للجدّ في الأمرِ خيراً كانَ أوْ شرًّا[3]، قالَ الجوهريّ: "سعَى الرجلُ يَسعَى سَعْياً أي عَدا، وكذلك إذا عَمِلَ وكسَبَ"[4]. والمرادُ بهِ في الآيةِ: الحرص على اللقاء، والرغبة فيما عند النبيِّ صلَّى اللّه وسلَّم من الخير المذكِّر باللّه[5].

2) ﴿يَخۡشَىٰ﴾: (خشي) يدلُّ على خَوفٍ وذُعرٍ؛ فالخشيةُ: الخوفُ[6]، فهو خَشيانُ، والمَرأةُ خَشيَى، مثلُ غضبانَ وغَضْبى، ورُبّما قيلَ: خَشيتُ بمعنى عَلِمْتُ[7]، والخشيةُ: خوفٌ يَشوبُهُ تعظيمٌ، وأكثرُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 255، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 108.
(2) الفيومي، المصباح المنير: (سعى).
(3) الراغب، المفردات: (سعى).
(4) الجوهري، الصحاح: (سعى).
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 255، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 109.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خشي).
(7) الفيومي، المصباح المنير: (خشي).

ما يكونُ ذلك عن علْمٍ بما يُخشَى منه[1]، فهو المُراقبةُ والوقايةُ معَ الخَوف، بأنْ يُراقِبَ أعمالَهُ ويتّقيَ نفسَهُ مع الخَوفِ والمُلاحظة[2]. والمرادُ به في الآية: بيانُ هيئةِ السّاعي المُقترنِ بالخوفِ مع التعظيمِ للّه تعالى وآياتِه.

3) ﴿تَلَهَّىٰ﴾: للهوِ أصلانِ صحيحانِ؛ أحدُهُما: يدلّ على شُغلٍ عن شيءٍ بشيءٍ، والآخرُ على نبذِ شيءٍ باليدِ، واللّهْو: كلُّ شيءٍ شغَلَك عن شيءٍ فقد ألهاك[3]، واللّهْو: ما يشغلُ الإنسانَ عمّا يَعنيه ويَهمُّهُ، يقالُ: لهَوتُ بكذا، ولهيتُ عن كذا: اشتغلتَ عنهُ بلَهْوٍ، ويُعبّر عن كلِّ ما بهِ استمتاعٌ باللّهْو[4]، فهو ما يكونُ فيه تمايلٌ إليه وتلذّذٌ به مِن دونِ نظَرٍ إلى حصولِ نتيجةٍ[5]. والمرادُ به في الآية: التشاغُلُ والانصرافُ عن السّائلِ وعدمُ الاكتراثِ بهِ على سبيلِ المُبالغةِ والزِّيادة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المعنى: وأمّا الّذي جاءَك مُسرعًا يَبتغي عندك ما تتوقُ إليه نفسُهُ، وهوَ يخافُ الغَوايةَ، وما دفعَهُ إليك إلّا حبُّهُ لأنْ يتطهَّرَ من الجهل، وخوفُ الوقوعِ في ظُلُمات الضَّلال، فأنْتَ عَنْهُ تتشاغَلُ عن إجابتِهِ إلى طلبِهِ بدعاء صناديدِ قُريش إلى الإسلام[6].

تفصيلُ سببِ العتاب للوُقوف عـلى حـقيـقـةِ الخِطاب

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الوصلِ في ﴿وَأَمَّا﴾:

عبَّر النظمُ الكريم بـ(الواو) في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾؛ للدِّلالة على عطفِ ما بعدَها على جملةِ: "﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾،

إتمامُ التقسيمِ والتأكيد لبيانِ الأحقِّ بالترغيبِ والتَّهديد

(1) الراغب، المفردات: (خشي).
(2) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 3/ 60.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لهو).
(4) الراغب، المفردات: (لهو).
(5) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 10/ 230.
(6) الهرري، حدائق الروح والريحان: 10/ 1785.

اقْتَضَى ذِكْرُهُ قَصْدَ المُقابَلَةِ مَعَ المَعْطوفِ عَلَيْها مُقابَلَةَ الضِّدَّيْنِ إتْمامًا للتقسيم، فحَصَلَ بمَضْمونِ هَذِهِ الجُمْلَةِ تَأْكيدٌ لِمَضْمونِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾[1]؛ فالغايةُ من العطفِ توزّعَتْ بينَ غرضَين: إتمامُ التقسيم الَّذي تَستدعيهِ (أمّا) الَّتي قبلَها، وتأكيدُ العتاب الَّذي تضمَّنَهُ مطلَعُ الآية، فهو زيادةُ عتابٍ آخرَ بتفصيلِ حالِ الأعمى، وبيانِ أنَّه الأحقُّ بالإرشادِ والدَّعوة النبويَّةِ المُباركة.

دلالةُ (أمّا) والغرضُ منها:

تعليقُ التلهّي والتشاغُل بوجودِ الأعمَى المتسائِل

عبَّر النظمُ الكريم بـ(أمّا) في قولِه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾؛ للدِّلالة على الشَّرط والتفصيل، قال القونوي: "كلمةُ (أمّا) لتفصيلِ المُجمَل الَّذي فُهِمَ من قولِه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.... الآية؛ فإنَّ التولّيَ عنه لأجلِ الإقبالِ عَلَى غيرِه؛ ففُهِمَ منهُ فريقانِ"[2]. كما تتضمَّن (أمّا) معنى (مهما) الدالّةِ على العُموم في الأشخاصِ والظُّروف والأحوال، والتقديرُ: (مهما يكُنْ شيءٌ فمَن جاءك يَسعى وهو يَخشى فتتلهَّى عنه)؛ فيكونُ تعليقاً للتلهّي على وجودِ ذلك الَّذي يَسعى على سبيلِ المُبالغة في إثباتِ التلهّي عنه، وإنْ كان التلهّي مُتعلِّقاً بدعوةِ القوم، اجتهاداً منهُ ﷺ بالعملِ بالأولويّات على وفق قواعدِ الاجتهاد.

دلالةُ ﴿مَن﴾ والغرضُ مِنها:

العِبرةُ بعُمومِ اللَّفظِ لا بخُصوصِ السَّبب

عبَّرَ النظمُ الكريم بـ﴿مَن﴾ المَوصولةِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾؛ للدِّلالة بها على المُعيَّنِ العاقل وهو ابنُ أمِّ مكتوم رضي الله عنه؛ لكنَّ النظمَ آثرَ التعبيرَ عنه بالموصولِ؛ للدّلالة على أنَّ ذلك الحكمَ ينبغي الأخذُ به مع كلِّ مُتسائلٍ ومسترشدٍ. وفائدةُ التعبير بالموصولِ أيضاً أنَّه مُبهمٌ فيحتاجُ إلى توضيحٍ يُبينُ حالَهُ ويوضِّحُ شأنَه، ففيه إجمالٌ يعقبُهُ تفصيل، وفي ذلك لذَّة للمتلقّي وتشويق له.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 108.

(2) حاشية القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي. 20/ 90.

دلالةُ الفعلِ ﴿جَآءَكَ﴾ مادّةً وصيغةً:

مُقابلةُ المَجيءِ للاستغناء دالّةٌ على رغبةٍ شديدةٍ في الاستهداء

عبَّر النظمُ الكريم بالفعلِ الماضي (جاء) في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾؛ للدِّلالة على وقوعِ المجيءِ على سبيل القطعِ بالحُصول لا على سبيل الفرضِ والاحتمال، كما يدلُّ بمادّته على رغبةٍ في الإقبالِ والحضور؛ فهو أعمى وكلَّفَ نفسَهُ المَجيءَ للسُّؤال، فهذا المجيءِ دالٌّ على صُعوبةٍ في الوصولِ، معَ تعمُّدٍ في الحضورِ، ورغبةٍ قويّةٍ في طلب الاستهداءِ.

سرُّ تعديةِ فعلِ (المَجيءِ) إلى ضميرِ المُخاطَبِ ﴿جَآءَكَ﴾:

حذفُ الجارِّ الدالّ، على تحديدِ مقصَدِ الإقبال

عدَّى النظم الكريمُ فعلَ (المَجيءِ) في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ إلى ضميرِ المُخاطَب؛ للدِّلالة على أنَّ المجيءَ كان مُنحصِراً في غايتِهِ وجميعِ أجزاءِ حدثِهِ بالوصولِ إليك يا رسول اللّه، فأنتَ مَقصَدُ مجيئِهِ والهدفُ الَّذي يرومُ الدخولَ عليه، بخلافِ ذلك المُستغني عنك وعمّا تدعو إليه، ومن المعلوم أنَّ الفعلَ (جاء) لازمٌ يتعدَّى بالحرف، والتقديرُ (جاء إليك)، لكنَّه حذفَ الجارَّ وأوصلَ الفعلَ بالمفعولِ بهِ المخاطبِ؛ للدّلالة على تأكيدِ هدفِ المَجيء وغايتِهِ الأساسيَّة المنحصرةِ بذاتك، فهو لا يَستغني عنك وعنْ توجيهِك.

دلالة الفعل ﴿يَسْعَىٰ﴾ بين الحقيقةِ والمجاز:

مِن شدَّةِ الإقبال كان السَّعيُ والاستعجال

عبّرَ النظمُ الكريم بالفعلِ المُضارع ﴿يَسْعَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾؛ للدِّلالة على حصولِ ذلك الفعلِ على سبيلِ التجدُّدِ الاستمراريّ، فهو لا يتوقّفُ في سعيِهِ وعَدْوِهِ إليك ومشيِهِ السَّريع للدُّخول في حَضرتِك طالباً للاستهداءِ والاسترشادِ. كما يدلُّ بمادّته على ضَرْبٍ من المَشي السَّريع يُشبهُ العدوَ والهَرولة مع الرّغبةِ في الإنجازِ له، قال الرّازي: أي "يُسْرِعُ في طَلَبِ الخَيْرِ، كَقَوْلِهِ:

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 9][1] أي بالرَّغبةِ والإقبال. و(سعَى) فيه قولانِ؛ أحدُهما: يَمشي. والثاني: يعملُ في الخيرِ[2]، أي: يَسْعى في شؤونِهِ وأمرِ دينِهِ وتقرُّبِهِ منكَ[3]، وعلى الأوّلِ فالسّعيُ مُستعمَلٌ في حقيقتِهِ اللُّغويَّة، والثاني مجازٌ على سبيلِ الاستعارةِ التصريحيَّة. وعلى المعنى الأوّل فالمشيُ السَّريع معَ أنَّه كفيفٌ لا يُبصرُ دالٌّ على الحبِّ والتعلُّقِ بالهدي النبويِّ والنّورِ الإلهيِّ المُبين، بخلافِ ذلك المُستغني عن تلك الأنوارِ المُكذِّبِ بتلك الأسرارِ والأخبار، وعلى الثاني فهو مناقِضٌ للمُستغني عن الله وأسرارِ دينِهِ؛ إذ هو مُسرعٌ في طلبِ شُؤونِ دينِهِ المُقَرِّبةِ له من ربِّه.

دلالةُ الموقعِ الإعرابيِّ لجملةِ ﴿يَسْعَىٰ﴾:

عبَّر النظمُ الكريم بالجملةِ الفعليَّة ﴿يَسْعَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾؛ للدِّلالة على الحالِ من فاعلِ المجيءِ، قال الهرريّ: "أي حالَ كونِه ﴿يَسْعَىٰ﴾، ويَمشي بسرعةٍ في أمرِ دينِهِ؛ أي: حال كونِهِ مُسرعًا طالبًا لما عندَك من أحكامِ الرُّشْدِ، وخِصال الخَير"[4]. فالغرضُ من الحال تقييدُ حالةِ المَجيءِ بحالةِ السَّعي، فكانَ المجيءُ ممزوجاً بالسّعْيِ والمَشْي السَّريع للوصول إلى الهدفِ المَقصود، وبيانُ هيئةِ الجائي الدالّةِ على الرغبةِ القصوى وعدمِ الاستغناءِ عمّا عندَ النبيِّ الكريم من تشريعٍ وقرآنٍ وأحكام. وتقييدُ المجيءِ بالسَّعي وبيانُ هيئةِ الجائي ترسمُ صورةً مناقضةً لحالِ المُستغني بما عندَهُ من أوهامٍ عنِ الدّين والقرآنِ والنبيِّ الكريم، وبذلك يزدادُ العتابُ وتعظمُ صورتُهُ بهذا التفصيلِ لحالِ المُتسائلِ المُتشوِّفِ لمعرفةِ النورِ والحقِّ المُبين.

تقييدُ المَجيءِ بالسَّعي استنكارٌ لفعلِ ذلك المُستغني

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 54.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 400.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 437.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 124.

دلالةُ (الواوِ) في ﴿وَهُوَ﴾:

الـجـمـعُ بـينَ الحالينِ البدنيَّة والقلبيَّة تصويرٌ لكمالِ الرَّغبة

(الواو) في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾؛ دالَّة على الحالِ، فالجملةُ الاسميّةُ حالٌ جيءَ بها بياناً لهيئةِ الجائي ساعياً مع الخشيةِ للّه تعالى، فيكونُ السّعي بياناً لحركةِ مجيئِهِ، وهو دالٌّ على الرغبةِ والحرصِ في الإقبال، والخاشي للّه تعالى بيانٌ لحالتِهِ القلبيَّة وهيئتِهِ النفسيَّة، فيكون هنالك قيدانِ لحالةِ الجائي: أنَّه ساعٍ وأنَّه خاشٍ للّه تعالى، فالأوّلُ حالٌ حسيّةٌ بدنيّةٌ، والثاني حالٌ معنويّة قلبيّةٌ، وكلاهما مُتنافيانِ معَ حالةِ المُستغني.

سرُّ تقديمِ الضَّمير (هو) على الخبرِ الفعليّ:

التقوّي والانحصار دالّانِ على الرَّغبة في التحلّي بالأنوار

قدّمَ النظمُ الكريم ضميرَ الغائب الواقعَ مُبتدأ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾؛ للدِّلالة على الحصْرِ مع تقويةِ الحُكم وتوكيدِهِ، فتكون الخشيةُ مُنحصرةً فيه حَصْراً ادّعائياً، وهو من حصرِ الصِّفة في الموصوف، مع إفادةِ تأكيدِ وقوعِ الخَشية له، وفي ذلك الانحصارِ والتقوّي دلالةٌ على ما ينبغي أنْ يقابَلَ به من الإقبالِ عليه والارتياحِ لمَطلبِهِ.

دلالةُ الفعلِ ﴿يَخۡشَىٰ﴾ مادّةً وصيغةً:

ثـراءُ المَعنى بتعدُّدِ مُتعلّقات المبنى

عبّرَ النظمُ الكريم بالفعلِ المضارعِ ﴿يَخۡشَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾؛ للدِّلالة بمادّتِه على الخوفِ التعظيميّ؛ لكنَّ هذا الخوفَ يتعدّدُ بتعدُّدِ احتمالاتِ تقديرِ مُتعلّقه، ومِن ثمَّ قيلَ في دلالتِهِ هنا: "ثَلاثَةُ أوْجُهٍ، يَخْشَى اللّه ويَخافُهُ في أنْ لا يَهْتَمَّ بأداءِ تَكاليفِهِ، أوْ يَخْشَى الكُفّارَ وأذاهُمْ في إتْيانِكَ، أوْ يَخْشَى الكَبْوَةَ؛ فإنَّهُ كانَ أعْمَى، وما كانَ لَهُ قائِدٌ"[1]. والرّاجح بقرينةِ السّياق المعنى الأوّل؛ إذ خشيتُهُ الحقيقيّة كانتْ للّه تعالى، وأمّا خشيتُهُ من الكفّار وأذاهُم أوِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 54.

من السُّقوط في الطَّريق، وإنْ كانا مقوّيين لحرصه على الاستهداءِ وما يَنبغي تقديمُهُ له؛ لكنّ المقابلةَ بالمُستغني العازف عن الله تعالى ودينِهِ لا يظهَرُ إلّا بكونِهِ يَخشى الله ويرغبُ في نيلِ الخيرِ والمعارف النبويَّة التي عزفَ عنها المُستغني، بقي أنَّ الفعلَ المضارعَ يدلُّ بصيغتِهِ المضارعيَّةِ على إفادةِ التجدُّد"[1].

حذفُ مفعولِ فعلِ (الخَشية):

التبادُرُ الدِّلاليّ مُقدَّمٌ على التجويزِ الاحتماليّ

حذفَ النظمُ الكريمُ مفعولَ (الخشية) في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾؛ "لِظُهورِهِ؛ لأنَّ الخَشْيَةَ في لِسانِ الشَّرْعِ تَنْصَرِفُ إلَى خَشْيَةِ اللّه تَعالَى"[2]، وهذا الدليلُ حاسمٌ في كونِ فعلِ (الخشية) هو الخوفُ المقرونُ بالتعظيم لله تعالى دونَ خشيةِ الكفّار أوْ خشيةِ السُّقوط في الطريق؛ إذ لا تعظيمَ لهما في نفسِ الخائف، ولو كانا مُرادين لكان ذكرُهما مُتعيِّناً لعدمِ القرينة الواضحةِ الدالّة عليهما، في حين أنَّ المُتبادر من إطلاقِ (الخشية) في لسان الشرع انصرافُها للخشيةِ من الله تعالى، ودلالةُ التبادر مقدّمةٌ على ما سِواها إلّا عندَ توافُرِ القرينةِ على إرادةِ غيرِها.

اختلافُ الحالَين في الفعليّةِ والاسميَّة:

السّعيُ يُناسبُهُ التجدُّدُ الفعليّ، والخشيةُ يتّسقُ معَها الثباتُ الاسميّ

عبّرَ النظمُ الكريم بجملتين حاليّتين؛ أولاهُما فعليّةٌ وثانيتُهُما اسميّةٌ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾؛ لأنَّ ﴿يَسْعَىٰ﴾ حالٌ فعليّةٌ، و﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ حالٌ اسميّةٌ، وكلٌّ منهما متناسبةٌ مع مدلولِها؛ فإنَّ الجملةَ الفعليّة دالّةٌ على التجدُّدِ والحدوث، والسّعيُ والمشيُ السّريعانِ اللّذانِ تحثُّ فيه الخُطى يتناسبُ مع التجدُّد والحدوث، وأمّا (الخشية) التي هي خوفٌ مقترنٌ بتعظيمِ المَخوفِ منه؛ فإنَّه لا يكونُ إلّا ثابتاً ودائماً ومُستمراً، وفي ذينِك الحالين دلالةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 109.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 109.

على الحركةِ البدنيَّة المتجدِّدة، وعلى الدّوام والثبات القلبيِّ؛ قال القونويّ: "وفي اختيار الجُمْلَة الفعلية في الأولى، والجُمْلَة الاسمية في الثانية تنبيهٌ عَلَى أنَّ السّعيَ أمرٌ متجدِّدٌ، والخشيةَ أمرٌ مستمرٌّ عَلَى الدوام"(1).

دلالةُ (الفاء) والغرضُ منها في ﴿فَأَنتَ﴾:

(الفاء) في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ رابطة لجواب الشَّرط (أمّا)؛ إذ تعلّق التلهّي والتشاغُل على وجودِ الجائي ساعياً يَخشى اللّه.

نكتةُ تقديمِ (أنت) على خبَرِهِ الفعليّ:

مثلُكَ لا يَليقُ بهِ التصدّي ولا يُناسِبُهُ التلهّي

قدّمَ النظمُ الكريم ضميرَ المُخاطَب الواقعَ مُسنداً إليه على خبرِهِ الفعليِّ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ للدِّلالة على الانحصارِ والاختصاصِ للتشاغُلِ عنه دونَ مَن سواهُ مِن صناديدِ قُريش، كما انحصرَ التصدّي بأولئك الصَّناديدِ دونَ ابنِ أمِّ مَكتوم ﷺ في قوله ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾، فهو حصرٌ إضافيٌّ، من حَصْرِ الصِّفة في الموصوف. كما دلَّ التقديمُ على تحقيقِ معنى التشاغُلِ وتوكيدِهِ بحيث يزولُ أيُّ شكٍّ في حصولِهِ وقوّتِه، ونبَّه الزّمخشري إلى نكتةٍ بليغةٍ للانحصارِ – وهي الإنكارُ – أفادَها التقديمُ عبَّر عنها بقوله: "فإنْ قلتَ: قولُهُ ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ كأنَّ فيه اختصاصاً، قلتُ: نعم، ومعناه: إنكارُ التّصدّي والتلهّي عليه، أي مثلُكَ خصوصاً لا يَنبغي له أنْ يتصدَّى للغنيّ ويتلهَّى عنِ الفقيرِ"(2).

سرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَنْهُ﴾:

العزيزُ مَن أعزّهُ اللهُ بالإيمانِ والطّاعة

قدّمَ النظمُ الكريم الجارَّ والمجرورَ ﴿عَنْهُ﴾ على متعلَّقِه الفعليِّ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ للدِّلالة على القصرِ الإضافيِّ

(1) حاشية القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 20/ 90.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 702.

بالنِّسبة لصناديدِ قريشٍ الحاضرين، قال القونويّ: "وتقديمُ ﴿عَنْهُ﴾ لرعايةِ الفاصلةِ أوْ القصرِ الإضافيِّ"[1]. كما أفادَ التقديمُ دلالة التعريضِ باهتمامِهِ ﷺ بمضمونِهِ، قال الهرريُّ: "وفي تقديمِ ﴿عَنْهُ﴾ للتعريضِ باهتمامِهِ ﷺ بمضمونِهِ تنبيهٌ؛ حيث أفادتِ القصةُ أنَّ العبرة بالأرواحِ والأحوال، لا بالأشباحِ والأموال، والعزيزُ مَن أعزّهُ اللّه بالإيمان والطّاعة، وإنْ كان بينَ الناس ذليلًا، والذّليلُ مَن أذلّهُ اللّه بالكُفر والمَعصية، وإنْ كان بينَ النّاس عزيزًا"[2].

دلالةُ الطّباق بينَ ﴿لَهُۥ﴾ و﴿عَنْهُ﴾:

لفتُ الأفكار لمَنْ يستحِقُّ الإقبالَ والإدبار

عبّر النظمُ الكريمُ بأسلوبِ الطِّباق البديعيِّ الحرفيِّ بينَ ﴿لَهُۥ﴾ و﴿عَنْهُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ وقوله: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ للدّلالة باللّام في ﴿لَهُۥ﴾ على الاختصاصِ والإقبالِ والملك، وللدِّلالة بـ(عَن) في ﴿عَنْهُ﴾ على التجاوُزِ والمُباعدة والانصراف، والغرضُ من الطباقِ بيانُ مَن يستحِقُّ لفظَ ﴿لَهُۥ﴾ ومَن يستحقُّ لفظَ ﴿عَنْهُ﴾ من فريقَي المُستغني عن اللّه ورسولِهِ وفريقِ المُقبِلِ عليهما.

دلالةُ الفعلِ ﴿تَلَهَّىٰ﴾ مادّةً وصيغةً:

حكايةُ الحالِ الماضيةِ دعوةٌ لرُؤيتِها الحاضِرة

عبَّرَ النظمُ الكريم بالفعلِ المضارعِ ﴿تَلَهَّىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ للدِّلالة بصيغتِهِ المضارعة على وقوعِ التلهّي على سبيلِ الاستمرارِ التَّجَدُّديّ أوْ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ[3] تصويراً لها كأنَّها تقعُ الآنَ، كما أنّ الانشغالَ متجدِّدٌ بتجدُّدِ التصدّي والإقبال على الصَّناديد. كما تفيدُ صيغةُ (التفعُّل) دلالةَ المُبالغةِ والزّيادة[4]، إذ حصلَ ذلك التلهّي على سبيلِ الكَثرة مع التدرُّجِ في الالتهاءِ نتيجةَ التدرُّجِ في التصدّي والإقبال، وللدِّلالة بمادّتِهِ على الاشتغال

(1) حاشية القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 20/ 90.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 125.
(3) حاشية القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي. 20/ 90.
(4) حاشية القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 20/ 90.

عن الشّيء، لأنَّها مَأخوذة من: "لَهيَ عن الشَّيءِ بالكسرِ يلهَى لَهَيًا: أعرضَ عنهُ، لا مِن (لَهَوْتُ بالشيءِ) بالفتحِ ألهو لَهْوًا إذا لَعِبْتَ به[1]؛ لأنَّ الفعلَ مسندٌ إلى ضميرِ النبيِّ ﷺ، ولا يليقُ بشأنِهِ الرّفيع أنْ يُنسَبَ إليه التفعُّل من اللّهْو، بخلافِ الاشتغالِ عن الشَّيءِ لمصلحةٍ. وعن أبي حيان: ولو أُخِذَ من اللّهْو، وجُعِلَ التشاغلُ بأهلِ التغافُل مِن جنس اللّهْو واللّعب – لكونِهِ عبثًا لا يترتّبُ عليه نفعٌ – ؛ لم يخلُ عن وجهٍ؛ لأنَّ ما يبنى على فعِل من ذواتِ (الواو) تنقلبُ واوُهُ لانكسارِ ما قبلَها؛ نحوُ (شَقيَ يشقَى)[2]. وفيهِ أنَّه يلزمُ منهُ أنْ يكون الاشتغالُ بالدّعوة عبثًا، ولا يقولُ به المؤمن، وذلك لأنَّه لا يجوزُ للنبيِّ ﷺ التشاغُلُ بأهلِ التغافل إلّا بطريق التبليغِ والإرشاد، فكيفَ لا يترتّبُ عليه نفعٌ؟"[3].

دلالةُ الطِّباق في ﴿تَصَدَّىٰ﴾ و﴿تَلَهَّىٰ﴾:

نـصـحُ الـنـبـيّ بوضعِ الشّيءِ في موضعِهِ الجليّ

عبّر النظمُ الكريم بأسلوبِ الطباقِ بين الفعلين المُضارعين ﴿تَصَدَّىٰ﴾ و﴿تَلَهَّىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ وقولِه تعالى هنا: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ للدّلالة على الإقبالِ على المُعرِض المُستغني طمَعاً في إسلامِهِ وتزكيتِه، والتشاغُلِ والإعراضِ عن المُقبِل المنتفِع لتزكّيهِ وتذكُّرِه. والغرضُ من الطّباق بيانُ الحركتين المُتعاكستين إقبالاً على المُعرِض وإدباراً عنِ المُقبل، فيُضفي على النصِّ حركةً مُتعاكسةً، تفيدُ بيانَ الحُكم الشرعيِّ الصَّحيح فيما وقع فيهِ الاجتهادُ النبويّ. وقال البيضاوي: "ولعلَّ ذكرَ التصدّي والتلهّي؛ للإشعارِ بأنَّ العتابَ على اهتمامِ قلبِهِ بالغنيِّ، وتلهّيهِ عن الفقيرِ، ومثلُهُ لا ينبغي لهُ ذلك"[4].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 437.
(2) ابن عادل، اللباب: 20/ 157.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 124.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 286.

سرُّ تقديم التصدّي على التلهّي:

ارتباطُ النّظم داعٍ إلى تأخيرِ الكلِم

قدّمَ النظمُ الكريم فعلَ التصدّي على فعلِ التلهّي، وتفصيلَ حالةِ المُستغني على تفصيلِ حالةِ المُحتاج في قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ إلى قوله ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ لأنَّه لمّا تقدّمَ الحديثُ في القصَّة عن العُبوس والتولّي عن الأعمَى فُهِم أنَّ هنالك فريقاً آخرَ لأجلِهِ وقعَ الانصرافُ، فقُدِّمَ تفصيلُ المُستغني والتصدّي لتبليغِه طمَعاً في إسلامِهِ، وأُخِّرَ بيانُ المُنصرِف عنه والتلهّي عنه؛ لئلاّ يُفصَلَ بينَ التلهّي عن تعليمِهِ والنَّهي منه بفاصلٍ لا يُناسبُ مقام العتاب؛ لأنَّ التصدّيَ في تبليغِ الدّعوة من حيث هو واجبٌ، لكنَّ اقترانَه بالانصرافِ عن المُحتاج إلى المُستغني هو محلُّ العتاب، ولذا قال القونوي: "وتأخيرُ الثاني لئلّا يكونَ فصلًا بينَهُ وبينَ قولِهِ ﴿كَلَّآ﴾؛ لأنّه ناظرٌ إلَى الثاني"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللّهْو واللَّعِبُ والعَبَثُ واللّغوُ والباطلُ والمِزاحُ:

الاتّفاقُ في العُموم والاختلافُ في قيودِ المَفهوم

يقالُ: عبثَ به الدّهرُ إذا عَمِلَ به ما لا يُنتجُ له فائدةً، والفرق بينَ (العبَث) وبينَ (الباطلِ واللّغْوِ واللّهْو واللّعِب والمِزاح) أنَّ (اللّعبَ) اشتغالٌ بعملٍ يُلتذُّ به، من دونِ أنْ يتوجَّهَ إلى نتيجةٍ وفائدة، و(الباطلَ) يقابلُ الحقَّ، فهو ما ليسَ له ثبوتٌ وتحقّقٌ، و(اللّغوُ) ما لا يُعتدُّ به ويقعُ من غيرِ تفكُّرٍ ورويَّة. و(اللّهْو) ما يكونُ لك تمايُلٌ إليه وتلذّذٌ بهِ من دونِ نظرٍ إلى نتيجة، و(المِزاحُ) استئناسٌ ومُداعبةٌ وهَزْلٌ[2].

(1) حاشية القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي. 20/ 90.
(2) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 8/ 9.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"